

تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم مروءته فتكون من الذين قال الله . . .»<sup>(١)</sup> و«من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال، . . . وهي صديد يخرج من فروج المومسات»<sup>(٢)</sup> .

ترى هذه إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا قوله أو فعلة أم عقيدة فيما هو المحظور؟ فما على من يحبها ولا يشيعها؟ والنص: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ . . .﴾! علّ الجواب أن إشاعة الفاحشة، ليست إلا عن حب كامن قل أو كثر، يدفع صاحبه إلى بثها، وإشاعة الفاحشة محظورة لحد يحظر عن حبها وحتى إذا لم تشع! فأية وسيلة تشيع بها الفاحشة في الذين آمنوا، إن فيها العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، اللهم إلا من جاهل قاصر، ومن يعمل عملاً أو يقول قولاً يشيع به الفاحشة وإن لم يحبها أو يحب إشاعتها، فهو ممن يحب أن تشيع الفاحشة إلا قاصراً مطلقاً.

فإشاعة الفاحشة من المحرمات المغلظة في الشريعة، سواءً أكانت بفعل الفاحشة جهرة، أم بنقلها على علم بها أم جهل، وسواءً أثرت في عملية الفاحشة بين المؤمنين فشيوعاً لمثل الفاحشة، أم لم تؤثر إلا تناقل الألسن

(١) المصدر ح ٦٢ في كتاب ثواب الأعمال بإسناده إلى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك الرجل من إخواني بلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال لي: يا محمد! كذب سمعك وبصرك عن أخيك . . . ثم استشهد عليه السلام بالآية وفيه ح ٦٥ عن أبي عبد الله عليه السلام «من قال في مؤمن ما لا رأته عيناه ولا سمعت أذناه كان من الذين قال الله . . . وفي تفسير البرهان ٣: ١٢٨ - عن الكافي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: إن من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليك وإن البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه، وفيه عن المفيد في اختصاصه قال الباقر عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال على المنبر والله الذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله تعالى والكف عن اغتياب المؤمن والله الذي لا إله إلا هو لا يعذب الله تعالى مؤمناً بعداب بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله تعالى واغتيابه للمؤمنين .

(٢) البرهان: ٣: ١٢٨ - الكافي عن أبي يعفور . . . قلت وما طينة خباله؟ قال: صديد . . .

بالفاحشة، فإنها لفظة فاحشة، أم تؤثر في سوء ظن أو علم بالفاحشة فهذه عقيدة فاحشة، فيا لها من ضابطة صارمة عامة هي سياج مرصوص على شيوخ الفاحشة في كتلة الإيمان، وحتى تناقلها عمن اقترفها فضلاً عن الأبرياء! وأقل من الكل حبها دون إظهارها وإشاعتها!

فالفاحشة خطوات: من فعلها جهاراً إلى أتباعها، أو من إشاعة نقلها بين الجماهير، حتى تهون في النفوس، ومن ثم الهون في الواقع، أو من إفكها اختلاقاً على الأبرياء ولا سيما العظماء ذوو المكانة الإيمانية في النفوس، حتى تهون وتهون ومن ثم الواقع الجماهيري للنفوس.

والفاحشة هي القولة الفاحشة من اغتياب أو إفك أو فرية، والظنة الفاحشة، والعقيدة الفاحشة والفعلة الفاحشة دون اختصاص بالأخيرة.

و﴿عَذَابُ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ لا يخص الحد فإن الحب وبعض الإشاعة لا حد فيه، فقد يعمه والتعزير، وقد يحد أو يعزر دون إشاعة، وإذا حد أو عزّر أو تاب فلا عذاب في الآخرة! إذا ف ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ يعم ذلك وغيره من نكبة تشملهم في عرضهم حين يشيعون الفاحشة على الآخرين، أماذا من نكبات حاضرة العذاب في الدنيا، ثم وفي الآخرة عذاب أليم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)

﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (١) ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) لكان لكم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)!

هذه خطوات شيطانية يتبعها ضعفاء الإيمان فتوردهم أجيج النيران ف :

(١) سورة النور، الآية: ١٠.

(٢) سورة النور، الآية: ١٤.

(٣) سورة النور، الآية: ١٩.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦﴾﴾ :

للشيطان خطوات إلى الدرك الأسفل، يخطوها رويداً خطوة خطوة، ويجر ويمشي فيها كل مستغفل قدر الحاجة من تمشية إلى ما يهواه من هوات الضلالة، خطوات متخلفة مختلفة بمختلف جنبات الحياة، من اقتصادية يجعلها إلى إفراط رأسمالية وتفريط سوسيالية بلشوية تنحية عن الطريقة الوسطى المثلى التي تتطرقها الشرايع الإلهية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم خطوات أخرى لحمل المؤمنين على الفحشاء، من سيئة إلى أسوأ وإلى فاحشة، من نقل لها صدقاً أو كذباً إلى الألسن، النفوس، ومن ثم الواقع الخارجي وكما في آية النور.

وبصورة عامة له خطوات من قصيرة إلى طويلة وإلى أطول هي الدرك الأسفل في كل كارثة تخرج الجماهير عن كل سلم وصلاحية من هذه أو تلك، أم وعقائدية أو سياسية أو ثقافية أم ماذا؟:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن فدخل المؤمنون كافة في السلم كافة يتطلب ترك المتابعة لخطوات الشيطان، ولكي تسلم الجماعة المؤمنة عن اللأمن والزعزعة في كافة الحقول الحيوية الفردية والجماعية، أمناً اقتصادياً وفي أعراضهم وعقائدهم وسياساتهم وثقافتهم أم ماذا؟

هنا من خطوات الشيطان التسمّع إلى كل قوال غير مبال بما قال أو قيل

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

فيه، أم إلى كل مقال دون نظرة إلى صالحه وطالحه ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(١)</sup> ومنه ما يسمعه، أهو زقوم للروح أم شفاء؟ ومن ثم خطوة إلى تقبلها وإن كان الظن السوء بمن قيل فيه أماذا؟ وخطوة ثالثة إلى تنقلها إشاعة بين الجماهير، حتى إذا أخذت موقفها فيهم وتمكنت - كأنها حق - بينهم، استهانوا في واقعها فاقترفوها وهو منهم، وهذه هي الرابعة من خطواته، حيث يمشي باتباعه ولا يرضى منها إلا هيه، أم إلى ثالثة أو ثانية ولا أقل من الأولى فإنها مدقة باب الفحشاء والمنكر ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(٢)</sup> مهما كانت خطواته الأولى سيئة صغيرة لا تحذر.

قد يركّز الشيطان خطواته على إنسان يستعد أن يخطوها فإلى الفحشاء والمنكر، وقد يقتسمها بين أناسي، ليس كل يخطوها كلاً، فيحمّل على إنسان أوّل لتسمع إلى قوله، ويحمّل على ثان ليأخذ عنه تلك القولة الآفكة، ويحمّل على ثالث أن يذيعها، ويحمّل على رابع ليقترفها تدليلاً على مهانتها وإلى سائر الخطوات.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾<sup>(١)</sup> تأييداً للمؤمنين وتنديداً بالآفكين، وتشديداً في شرعته بتهديد وتحديد القاذفين آمن ذا ﴿مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾<sup>(٢)</sup> فمن مقترف للفحشاء والمنكر، أم مساعد لهما بإشاعة الفاحشة، ومن بريء كأول العابدين تتناقل الألسن الإفك على بيته الطاهر، إذاً فما وقف حجر على حجر في حرية الإفك والقذف حيث لا تبقي عرضاً ولا تذر!

ولأن الفحشاء والمنكر لا يختصان بالأموال الجنسية وأضرابها، فلتشملا كل فحشاء ومنكر ومن أنكرها وأفحشها هي العقائدية، التي يخطوها الشيطان ليورد متبعيه موارد الضلالة خروجاً عن ولاية الله ورسوله وولاية الأئمة<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٢) كفاية الخصام ٥٣٦ - الأصبهاني الأموي روي عن علي عليه السلام بعدة طرق أن السلم ولايتنا أهل البيت، ومن طريق الخاصة ينقل اثني عشر حديثاً تماثله معنوياً.

فالسّلم المأمور بالدخول فيه كافة التسليم لله بتوحيده طاعة وعبادة، والتسليم لرسوله رسالة ثم التسليم لأولي الأمر من بعده وهم عترته المعصومون إمرة وإمامة، وهذا المثلث من السلم - ومرجعه واحد - هو المتكفل للوحدة العريقة بين الذين آمنوا، ف ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ التي يخطوها في تقدم ولاية الله أو ولاية رسول الله أو ولاية أولي الأمر منكم، يخطو في انتقاصها أو انتقاضها.

ولا تظنوا أنكم تزكون أنفسكم دونما فضل من الله ورحمة مهما حاولتم في زكاتكم وإلى الذروة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ بولاية تكوينية وتشريعية، حيث يشرع ما يشرع من سياجات صارمة على كل فاحشة، ثم يؤيد المتقين في تجنبها، وقطع ألسنة القذف والإفك عنها! ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ كل مقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل حال على أية حال.



﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ :  
 ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ تلمح كصراحة أن المأمور بإيتائهم من ﴿أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كانت عليهم جرائم يحق لأولي الفضل منكم والسعة أن يعفوا عن جرائمهم وينفقوا عليهم، وبذلك تتصل الآية بما احتفت بها من قصة الإفك .

فقد كان يخيل إلى البعض أن الآفك والمشارك في الإفك - بما كذبه الله ولعنه - فعلى المؤمنين أن يقاطعوه إيتلاء: أن يحلفوا بمفاصلتهم، ويتركوهم على ما هم، ويقصروا في مساعدتهم<sup>(١)</sup> فجاءت الآية ناهية عن

(١) هذه معان ثلاثة للإيتلاء وكلها تناسب موقف الآية .

ايتلائهم أمة بإيتاء أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله<sup>(١)</sup> فلاولي القربى حق القرابة، وللمساكين حق المسكنة، وللمهاجرين في سبيل الله حق المهاجرة، لا يأتليها إفكٌ وسواه، كما وأن حق الوالدين لا يقطعه حتى كفرهما!

فلا يحق لأولي الفضل مادياً ومعنوياً، ولأولي السعة بذلاً لفضلٍ مالاً وحالاً، لا يحق لهم ايتلائهم، ولا سيما المحدودين منهم والتائبين إلى الله، فالله غافرهم ومتفضل عليهم، فتخلقوا أنتم بأخلاق الله أن تؤتوهم وتعفوا عنهم وتصفحوا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾!

إنه «ما نقص مال من صدقة قطُّ، تصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عزاً فاعفوا يعزكم الله ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله له باب فقر، ألا إن العفة خير»<sup>(٢)</sup>.

فحتى لا يجوز لمن يجري عليه الحد أن يهتك زيادة عن أصل الحد لا بلفظه قول أم فضاظة فعل وكما كان الرسول ﷺ<sup>(٣)</sup> وأهل بيته الطاهرون

(١) الدر المنثور ٥: ٢٥ - أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد رموا عائشة بالبيح وأفشوا ذلك وتكلموا فيها فأقسم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو بكر ألا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصلوه، قال: لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فأمر الله أن يغفر لهم.

(٢) المصدر أخرج ابن المنذر عن أبي سلمة قال قال رسول الله ﷺ: . . .

(٣) المصدر أخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والخرائطي في مكارم الأخلاق والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أبي وائل قال: رأيت عبد الله أتاه رجل برجل نشوان فأقام عليه الحد ثم قال للرجل الذي جاء به: ما أنت منه؟ قال: عمه قال: ما أحسنت الأدب ولا سترته وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . . . ثم قال عبد الله: إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتى رجل فلما أمر لتقطع يده كأنما تأسف وجهه رماداً فقبل يا رسول الله كأن هذا شق عليك؟ قال: لا ينبغي أن تكونوا للشيطان عوناً على أخيكم فإنه لا ينبغي للحاكم إذا انتهى إليه حد ألا يقيمه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿وَلِعَفُوهُ وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ . . .﴾ [النور: ٢٢].

ومن يحذو محذاهم يعملون<sup>(١)</sup>، وكما علي عليه السلام يقول عن قاتله: «إن أنا أبق فأنا ولي دمي وإن أفن فالفناء ميعادي وإن أعف فالعفو لي قرينة ولكم حسنة فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم<sup>(٢)</sup> فما دام للغفران مجال، ألا يُشجّع المجرم على الجريمة، أم لا يجعله غير نادم بلا توبة، فلتعفوا ولتصفحوا ولكي يغفر الله لكم، غفراً عن غفر وأين غفر من غفر؟

يا لله من غفور رحيم، يغفر من استغفره ويرحم من استرحمه مهما جاء بإفك وفاحشة، ثم يأمر المقدوفين بالغفر والرحمة وينهاهم عن الايتلاء والنقمة، مما يعرفنا بُعد الآماد الغالية والآفاق العالية من كرم الأخلاق والسماحة في الأدب الإسلامي السامي، وبذلك يمسح على آلام الجماعة المؤمنة قاذفاً ومقدوفاً وعواناً بين ذلك، ويغسل من أوضار، ويخفف عن أوزار حمّلت عليهم من خطوات الشيطان!

مع كل ذلك ولكيلا يهون الإفك بعدُ على الآفكين يكرّر الكرة عليهم إن كرّروا وأصروا دونما توبة نصوح أو بعد توبة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>:

أترى المحصنات هنا هن العفيفات كما في ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ

(١) نور الثقلين ٣: ٥٨٣ ح ٧ عن نهج البلاغة من وصية له عليه السلام.

(٢) نور الثقلين ٣: ٥٨٤ ح ٧١ في كتاب المناقب في مناقب زين العابدين عليه السلام «وكان إذا دخل شهر رمضان يكتب على غلمانة ذنوبهم حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم ثم أظهر الكتاب وقال: يا فلان فعلت كذا ولم أؤدبك؟ فيقرون أجمع فيقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين ربك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فاذكر ذلّ مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة وكفى بالله شهيداً فاعف واصفح يعف عنك المليك لقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [التور: ٢٢] ويبكي وينوح.



يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴿١﴾؟ و﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ تكفي دلالة على أنهن العفيفات! فهن إذا ذوات الأزواج، مما يزيد في خطر الإفك فيهن!

ومن هن الغافلات من المحصنات المؤمنات؟ لعلهن اللاتي يغفلن عن إفكهن فلا يدافعن عن أنفسهن، مما يزيد أهل الظنّة ظنّة فيهن، فزيادة ثانية في حظر الإفك فيهن، محظورات ثلاثة في رميهن تتطلب عذاباً ذا أبعاداً ثلاثة هي: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا﴾ - ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ - ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾! لأنهن مظلومات في أبعاد ثلاثة فقد يجسم التعبير بشاعة تلك الجريمة الآفكة في تصويرهن غافلات غير آخذات حذرهن من رمية الإفك، لأنهن مطمئنات بأنفسهن بريئات الطوايا، إذ ما أتين بشيء ولا تقارفنه حتى يحذرهن!

ترى أن مثلث العذاب لزام عليهم وإن أتوا بأربعة شهداء؟ طبعاً لا! فإن آيات الشهداء شملتهم من ذي قبل! إلا أن وصفهن بالصفات الثلاث الحسنات في خطاب التنديد بالرامين مما يحيل شهادة الأربعة، كيف وهي قريبة الاستحالة على غير الشهيرات بالفاحشة، بل وحتى الشهيرات إلا اللهيئات اللاتي يأتين الفاحشة متظاهرات على رؤوس الأشهاد بحيث يسمح بإمكانية رؤية الشهود كما يجب!

إن مثلث العذاب لزام لمن يعرف المرمية بعفة وإيمان وأنها ذات بعل، فلا شهود إذاً، وهل من توبة، والجريمة هي تلك الثقيلة، وآية الغافلات لم تستثن بالتوبة؟ أجل مهما كانت أصعب مما دونها حيث التوبات تُكَلِّفُ من الصعوبات حسب دركات الخطيئات، وإذ تجوز وتجب التوبة عن أنحس الكفر وهي مقبولة بنصوص الآيات، فبأحرى تلك الجريمة فإنها فسق مهما كبرت، وآية التوبة عن قذف المحصنات تشمل كل قذف على كل محصنة مهما اختلفت الدرجات!

(١) سورة النور، الآية: ٤.

فلعنهم في الدنيا هو حدّهم وهو توبة عملية مهما عظم عذابه، ولعنهم في الآخرة هو عذابهم فيها إن لم يتوبوا أو لم تكمل التوبة، وعلّ عدم الاستثناء في هذه الآية بالتوبة رغم إمكانيتها وقبولها، لعظم الخطيئة كأن ليس عنها توبة، أو أن صاحب تلك الجريمة بعيد التوفيق عن التوبة، أو عن تكملة شرائطها حتى يصبح كأنه لا ذنب له . . . وترى ما هو يوم اللعنة الأخيرة بعذابها العظيم؟ إنها:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِيُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾:

إن بقي ما كانوا يعملون، بلسان يتكلم بإفك، ويد بقلم أماذا تمدّ إلى إذاعته، ورجل تمشي إليه، أم أي عمل جارح بالجوارح، فإنها تشهد بما عملوا كلُّ بحسبه، إذاعة لأصوات الأقوال وصور الأعمال، وسير الأحوال! وأما بعد التوبة والإصلاح فلا تبقى حتى تشهد وإنما تمحّى، وكما الصالحات إذا ضاعت بإحباطها، وآية الشهادة هذه تشهد أن المعنيتين بسابقتها في رمي الغافلات هم غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له! ترى ولماذا تشهد الجوارح؟ والله يعلم ما جرحت! وكيف تشهد ولا ألسنة لها إلا اللسان؟ ولماذا هذه الثلاث؟ ولا تختص بها الجوارح!.

شهادة الجوارح تعني تبكيت العاملين، وإلجامهم وإلزامهم باعترافهم حين يكذبون كل شاهد<sup>(١)</sup> فإنها تشهد كما عملت إذ سجلت فيها أقوالها

(١) الدر المنثور ٥ : ٢٥ - أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ثم يدخلهم النار، أقول ويشهد له ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] وفيه أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه عن أبي أمامة سمعت رسول =